

أثر السياق في التنوع الألفوني للأصوات العربية

The impact of context on the allophonic diversity of Arabic sounds

د.بوخاري خيرة

¹ جامعة أحمد زبانة، غليزان، (الجزائر) kheira.boukhari@univ-relizane.dz

مخبر الدراسات المتعددة التخصصات في تعليم وتعلم اللغات

تاريخ الإرسال 2025/08/01.	تاريخ القبول 2025/10/23	تاريخ النشر 2025/12/15
الملخص		Abstract
يعد موضوع الألفونات أو ما يسمى بالبدائل الصوتية من المسائل الفونولوجية المهمة في الدرس الصوتي الحديث، لأنه يدرس تلك التغيرات التي تحدثها المجاورة في الملامح الفيزيولوجية (المخارج) والفيزيائية (الصفات) للوحدات الصوتية بشكل خاص، والأداء النطقي للسلسلة الكلامية بشكل عام، مما يسهم في تشكيل التنوع الصوتي داخل بنية اللغة وتكييفها وفق البيئة الصوتية المحيطة بها. من هنا، تسعى هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على آلية "التنوع الصوتي" للفونيمات العربية عبر أسبقيتها اللغوية المختلفة من منظور فونولوجي حديث.		The topic of allophones, or so-called phonetic alternatives, is one of the important phonological issues in modern phonetic studies, because it studies those changes caused by neighbors in the physiological (exits) and physical (characteristics) features of phonetic units in particular, and the pronunciation performance of the speech chain in general, which contributes to shaping phonetic diversity within the structure of language and adapting it to the surrounding phonetic environment. Hence, this research paper seeks to identify the mechanism of "phonological diversity" of Arabic phonemes across their different linguistic contexts from a modern phonological perspective.

Keywords: Impact; context; diversity; allophone; Arabic sounds.	كلمات مفتاحية: أثر؛ السياق؛ التنوع؛ الألوфон؛ الأصوات العربية.
--	---

المؤلف المرسل: خيرة بوخاري، الإيميل: kheira.boukhari@univ-relizane.dz

1. مقدمة:

يُبنى التوصيف الصوتي على مظهرين اثنين؛ أولهما من خلال رصد الخواص المادية لأصوات اللغة من حيث المعطى الفونتيكي (المخارج والصفات)، والثاني الملمح الفونولوجي الذي تكتسبه من حيث توزعها في أسيقة لغوية تؤثر على أدائها الوظيفي والصوتي، فتكتسب صفات جديدة تحددها تلك العلاقات التجاورية في نسق لغوي معين.

إن الأصوات اللغوية تتأثر وتؤثر في بعضها البعض عن طريق المجاورة الصوتية، فتتحول من حالة نطقية إلى أخرى ما بين حلقي ولهوي وأسلي وأسناني، وجهر وهمس، وشدة ورخاوة، وتفتخيم وترقيق، وغيرها.

تساوقا مع هذا الطرح، نروم من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن ذلك الأثر الذي يحدثه السياق في الوحدات الصوتية، وتنوع أدائها الألوفوني من إطار صوتي إلى آخر، سواء أكان ذلك التبديل على مستوى المخرج أم الصفة، بالإضافة إلى الكشف عن الكيفية التي يتم بها ملائمة المتكلم خطابه الكلامي وفق معايير البيئة الصوتية المحيطة به، مما يقودنا إلى طرح جملة من التساؤلات نجملها فيما يلي:

ما معنى التنوع الألوفوني؟ وما هي أهم التنوعات الصوتية التي يفرزها السياق للفونيمات العربية؟ وما موقعية هذا التنوع الألوفوني؟ هل يتأتى على مستوى المخرج أم الصفة أم هما معا؟ وما هي أهم الأصوات اللغوية التي تخضع لهذه الخاصية الفونولوجية؟

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تلك التبدلات الأدائية للفونيمات التي يفرزها السياق الصوتي للخطاب الكلامي، من خلال الاستناد إلى الأسانيد النظرية والرؤى الفكرية التراثية التي سنّها القدامى، ممزوجة بمعايير الدرس الفونولوجي الحديث، الذي يهتم بدراسة وظائف أصوات اللسان البشري وما يحيط بها من ظروف سياقية ولغوية تفرضها المجاورة الصوتية، وتشكلات الوحدات الصوتية المختلفة، وهذا يقتضي منا الاعتماد على المنهج الوصفي

المستند إلى آلية التحليل والاستقراء لتلك الأطر النظرية التي سنّها أهل الاختصاص، وتفسير العلاقات بين المتغيرات المختلفة، بغية الإحاطة بجوانب الموضوع المختلفة وتفصيله الدقيقة، والإجابة عن تلك التساؤلات التي أثارها هذه الدراسة.

2. مفهوم السياق:

1.2 لغة:

للقوف على مفهوم السياق في اللغة، كان لزاما علينا الركون إلى المعاجم اللغوية المتخصصة، من ذلك معجم "مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس، الذي ورد فيه أن: «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حذو الشيء، يقال، ساقه يسوقه سوقاً، والسَّيْقَةُ: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صدقها... والسياق للإنسان وغيره، والجمع سُوق؛ إنّما سميت بذلك؛ لأن الماشي يساق عليها»².

أما المعاجم الحديثة، فقد ربطت معاني السياق بالتوالي والتتابع والاتصال، ولعل هذا ما يكشف عنه "المعجم الوسيط، الذي يذكر فيه « وساق الحديث: سرده وسلسه، وإليك يساق الحديث: يوجهه.. وساوقه: تابعه وسايره وجاراه، وانساق: تبع غيره، وانساق: انقاد، وتساقطت الماشية ونحوها: تتابعت وتزاحمت في السير »³، فهو يحيل إلى معنى التتابع والاتصال كتتابع الإبل، وتتابع الكلام واسترساله.

من مجمل هذه الأسانيد اللغوية، يتأتى لنا أن السياق يعنى به في اللغة العربية التوالي والتواصل من غير انقطاع أو فصل بين وحداته، أو تغيير لثوابت قارة في اللسان العربي المنطوق بالفعل.

2.2 اصطلاحاً:

أما مفهوم السياق من حيث الاصطلاح، فيتصل بنوعين من السياق، هما: السياق اللغوي أو ما يسمى بسياق النص أو السياق الداخلي، والسياق غير اللغوي الذي يطلق عليه بسياق

الموقف أو الحال، أو السياق الخارجي، وما يهمنا هنا هو السياق اللغوي الذي يقابله المصطلح الإنجليزي (Context).

وقد تعددت المفاهيم والرؤى التي طرحت حول ماهية السياق اللغوي، سندرج بعضها لنوضح مفهومه وفق ما يخدم دراستنا، ومن ذلك تعريفهم بأنه: «المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية»⁴. كما يعرف عند الأسلوبيين، بـ «السياق الصغير (Micro context)، ويقصد به الجوار المباشر للفظ قبله وبعده»⁵، وعند إسقاط هذا المفهوم على موضوع الدراسة، فسيفضي بنا إلى اعتبار الوحدة الصوتية وما يسبقها وما يلحقها من بنيات صوتية، وهي أقل أو أصغر حدود السياق اللغوي، الذي يصبح له فاعلية قصوى في تغيير الفونيمات وتوليد تنوعاتها الصوتية الألفونية، إما على مستوى المخرج أو الصفة عبر تلك الوشائج القبلية والبعدية في النسق اللغوي.

ولعل أدق مفهوم قدم للسياق اللغوي في نظرنا، ما جاء به ستيفن أولمان في كتابه "دور الكلمة في اللغة"، في قوله: «فالسباق اللغوي يقصد به السياق الداخلي الذي يُعنى بالنظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم الذي يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة، ويتسع ليشمل القطعة كلها والكتاب كله»⁶.

ونسقط هذا المعنى على قانون تلك العلاقات أو الوشائج التواصلية التي تربط الأصوات فيما بينها، والتي تحتكم إلى قانون المجاورة الصوتية وما تمليه من أحكام أدائية يراعيها المتكلم العربي أثناء تأدية العملية الكلامية وفق نظم ومعايير ثابتة، تخضع لضوابط الأداء الكلامي الذي يحكم لغتنا العربية .

3. مفهوم التنوع الصوتي: (Allophone)

سيتمحور هذا المبحث من هذه الدراسة صوب استجلاء مصطلح التنوع الصوتي أو ما أسميناه بالتنوع الألفوني، ويعزى ذلك إلى أن «مسألة تحديد المفهوم أو المصطلح مسألة

أساسية قبل البدء في البحث بتفصيلاته المتعددة؛ لأننا نعد البدء ببيان المفهوم والمصطلح وسيلة عبور لا يمكن الدخول إلى البحث دون المرور بها»⁷.

ومن تعريفاته الدقيقة التي تتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع دراسة، هو تلك « الحالات التي تعتري الصوت الواحد من التشكيلات في التصويت بين التفخيم والترقيق، والإخفاء والإظهار، والتحقيق والتخفيف، وليس لهذه التغيرات تأثير في دلالة الكلام؛ لأن تغيير الدلالة من وظيفة الفونيم، ويدخل بعض الباحثين (الحركات) التي تلحق الفونيمات كالفتحة والضمة والكسرة تحت مصطلح (الألفون)، فهذه الحركات لا تغير من حقيقة الصوت اللغوي، ولكنها تكون أعضاء لفونيم واحد، أو ألفونات للفونيم الواحد»⁸.

4. أنواع البدائل الصوتية: (الألفونات):

1.4/ الألفونات الحرة (البدائل الاختيارية):

وتُنتجت أيضاً، بالبدائل غير المقيدة أو غير المشروطة؛ وهي عبارة عن ألفون يكون في تغير حر وغير مقيد بشرط سياقي أو تجاوري مع ألفون آخر في نفس الموقع، بحيث يستعملان في نفس السياق الصوتي دون تغير في المعنى، ومن أمثلته في لغتنا، الاختلاف في نطق القاف، فقد تلفظ كافا عند البعض، وقد تنطق ألفا عند البعض الآخر، وينطق (g) في مناطق أخرى، كما ينطق قافاً صحيحة عند آخرين، ومن ذلك أيضاً ما أشار إليه الباحث غازي مختار طليمات في قوله: "نلاحظ أن صوت الثاء في (ثالث) فونيم، أما تغير النطق الذي أصاب هذا الفونيم في اللهجات العامة فجعله تاء أو سينا (تالت، سالس)، فإنه لم يحوله إلى فونيمين جديدين، بل ولّد منه ألفونيين آخرين، فالثاء فونيم، وكل صوت ينجم عنه بعوامل التغير اللهجي ألفون" ⁹.

وتجدر بنا الإشارة ههنا، إلى أن هذا التقسيم يتساق مع تلك المعايير التي سنّها العالم البراغي "نيكولاي تروبتسكوي" للتفريق بين الفونيم وتنوعاته، ومنها القاعدة الأولى التي تنص على أنه: إذا كان الصوتان من اللغة نفسها ويحتلان الإطار اللغوي نفسه، وبإمكانهما تبادل المواقع

دون تغيير في المعنى فإنهما تنوعان صوتيان أو أَلُفُونان (phonemic variant) للفونيم نفسه¹⁰، كناطق الراء /ر/ باللغة الفرنسية القديمة، و /غ/ بالفرنسية الحديثة.

2.4 الألفونات المقيدة أو المشروطة (البدائل السياقية):

وتعرف أيضا بالألفونات السياقية؛ وهي تتصل بذلك الألفون الذي يرتبط ظهوره بسياق صوتي معين ولا يخرج عنه لسياق آخر، بحيث يتحكم في توزيعه وفق قوانين أو شروط معينة، ولا يمكن للمتكلم أن يبادل بينه وبين أَلُفون آخر في نفس السياق الصوتي، ومن أمثلته، صور النون الساكنة في العربية -التي سيأتي الكلام عنها بالتفصيل لاحقا- وهذا النوع يطلق عليه أيضا الألفونات المتكاملة أو الإجبارية، وهو موضوع دراستنا في الشق الأول منها.

فمن القضايا الفونولوجية التي تحتاج إلى إطالة نظر وتمحيص فكر، ظاهرة التنوع الصوتي (الألفوني) للحروف العربية عند ورودها في سياق صوتي معين، إذ نلمحها تتسم بوسمه فتقع ما بين الظهور والإخفاء، والاستعلاء والاستفال، والجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، وتنتقل من مخرج لآخر، وغيرها من الخصائص الأدائية التي ليست من طبيعتها الأصلية في حال انفرادها، وإنما امتاحتها من الإطار اللغوي عبر مجاورتها لأصوات معينة؛ فهي ملامح أو خصائص -إن صح التعبير- تخضع لقوانين معينة في تساوقها وتجاورها ومواضعها في الكلمات، فتظهر في حرف دون آخر، أو مقطع أو آخر، مرتبطة بنظام وائتلاف اللغة البشري ضمن خطاب كلامي معين، وهذه الظواهر تخضع لمقاربة الفونولوجيا أو ما اصطلح علماء اللغة والأصوات العرب المحدثين على تسميته بعلم التشكيل الصوتي أو علم وظائف الأصوات.

فأثناء الأداء الكلامي، لا يمكننا رسم الحدود بين أصوات السلسلة الكلامية، ولا تغافل تلك الانزلاقية الصوتية على حد تعبير "تمام حسان"، فالحدود ترتسم بين الفونيمات، أما ما تولده من تنوعات أَلُفونية فملازمها متداخلة بينهما ويعسر فصلها، ولعل هذا ما جعل اللساني

الإنجليزي "دانيال جونز" يحد الفونيم بأنه: « عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات في لغة معينة، والتي تستخدم بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها»¹¹.

إن هذه الأصوات وفق هذه السنن والقوانين تأخذ مما جاورها سابقا أو لاحقا خواصها الصوتية، فإما تأخذ منها ملمحها الفيزيولوجي أو طابعها الفيزيائي النفسي، فلا تثبت على حال واحدة، وعلى هذا يمكن هنا « أن نطلق على الألو فون Allophone "المتغير السياقي" Variant of context، وذلك لتحكم السياق الصوتي أثناء تيار الكلام فيه، ويطلق أيضا عليه بعض الأصواتيين المحدثين بـ "المتغير غي الوظيفي" Unfunctional variant؛ لأنه لا يؤثر في المعنى، بقدر ما يلحظ التلون النطقي»¹² والأدائي فيه من حالة تركيبية إلى أخرى، وهذا ما ستبين عنه الدراسة فيما يلي:

5. التنوع الألو فوني على مستوى المخرج:

سنخصص هذا الجانب من الدراسة لتبدلات الأصوات العربية من حيث المخرج، والتي يمثلها صوت النون الساكنة التي تتميز عن غيرها من الصوامت بتحول مخرجها من إطار صوتي لآخر، وهو ما اصطلح عليه تمام حسان **بالتخارج في الموقع**، أو **التخارج بين أعضاء الفونيم**، ويقصد به «ميل بالمخرج الأصلي أثناء النطق إلى تدخل مخرج آخر»¹³، وهو ليس بالملمح النطقي الجديد، وإنما له أصول تراثية في إطار ما عرف - عند علماء القراءات والتجويد واللغويين - بظاهرة الإخفاء في هذا الحرف الأغن. وأثبتوا له عدة مواقع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿من قبلكم﴾¹⁴، وقوله أيضا: ﴿من كسب﴾¹⁵، ويتحدد موضع إخفاء النون مع خمسة عشر صوتا، هي: التاء، الثاء، الجيم، الدال، الذال، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الفاء، القاف، الكاف.

فالنون /ن/ كفونيم ثابت، يظهر هنا بصور أدائية كثيرة تتنوع بتنوع موقعها في الكلام المتصل. وهي نونات متخارجة من حيث موضعها في الجهاز النطقي؛ أي لا تثبت في مخرجها

الذي حدد لها وهي منعزلة كوحدة مستقلة، وإنما تميل إلى مخرج الصامت الذي يجاورها في السياق. فالنون الساكنة قبل صوت أسناني كالثاء تنطق أسنانية مثل: منْ ثم، وقبل اللهوي كالقاف تنطق لهوية، نحو قولك: منْ قبلْ، وقبل الشفوي كالباء تنطق شفوية، مثل: منْ بعدْ، وغيرها من الحالات النطقية لها في لغتنا. وهكذا تتعدد صور النون باختلاف مخارج الأصوات اللاحقة لها شرط أن تكون ساكنة غير متحركة، ولا تحل أياً منها محل الأخرى، فالعلاقة بينها «علاقة بالصفة مع اختلاف المخرج»¹⁶، الذي تخرج منه في الجهاز النطقي، وتجتمع كلها في فونيم واحد هو حرف "النون"، الذي يرمز إليه كتابياً بـ (ن)، وهو أحد الحروف الهجائية العربية، ويعود ذلك إلى تماثلها في النطق والصفة عند اعتزالها السياق اللغوي.

وكما هو معلوم عند أهل الاختصاص، أن هذا التخارج الموقعي أو التغاير المخرجي للألوفون لا يقف في العربية عند صوت "النون" الساكنة لوحدها فقط، وإنما يتعداه إلى صوت يتقارب معه في الصفة (الغنة)، وهو صوت "الميم" الساكنة أيضاً، فهي تتسم بذلك الانتقال المخرجي عند مجاورتها لصامت واحد فقط، هو صوت "الباء" الشفوي، وقد أشار علماؤنا القدامى إلى هذا النوع من التنوع الألوفوني للميم الساكنة في معرض حديثهم عن تجليات الإخفاء فيها. بحيث تختفي الميم نهائياً وتظهر مكانها الباء الانفجارية مصحوبة بغنتها كاملة، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم:

-قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾¹⁷.

-وقوله أيضاً: ﴿أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ﴾¹⁸.

نلاحظ هنا من خلال هذه الشواهد القرآنية، اختفاء مخرج الميم واستبداله بمخرج الباء مع الإبقاء على صفة الغنة كعلامة على الميم الخفي، ويعزى ذلك عند المتقدمين من القراء وعلماء التجويد واللغويين، والمتأخرين من الأصواتيين إلى قرب مخرجهما الشديد، فكلاهما شفويان، فوقع الإخفاء لزوما طلباً للخفة والسهولة في النطق والوضوح السمعي.

ومن التعليقات الصوتية التي قدمت أيضا لهذا التجلي الألوفوني "الإخفاء" لفونيم الميم قبل الباء الساكنة عند أهل الاختصاص، هو أن كلاهما « يتمتع بملح الجهر، ولكن فونيم الميم أصابه الضعف لوقوعه ساكنا، وفي نهاية مقطع، والباء صوت انفجاري وجاء في بداية مقطع، فأثر فونيم الباء تأثيرا رجعيا جزئيا في فونيم الميم، مما أدى إلى إسقاط ملح الميم وبقاء غنته التي تعد ملح قوة فيه، والتي استمر خروجها من الأنف »¹⁹، كسمة دالة على وجوده الخفي.

6. التنوع الألوفوني على مستوى الصفة:

أما في هذا الشق من الدراسة، فسنركز على تلك التنوعات الصوتية التي يولدها السياق في الفونيمات العربية على مستوى الصفة، بحيث تتغير سماتها الصوتية وفقا لما تطلبه المجاورة الصوتية من معايير أدائية، وهي ليست بملامح جديدة ليست موجودة في أحد الصوتين المتجاورين، فأي تبدل في أحدهما يستمد من جاوره من الصوامت، وهذا ما نلمسه في تفخيم وترقيق بعض الصوامت العربية حسب سياقاتها المختلفة، وتنزاح عنها في حال انزالها، فهي هيئة عارضة تحدث بالمجاورة وتزول بزوالها.

يقسم علماء الأصوات الصوامت من حيث التفخيم والترقيق إلى ثلاثة أقسام، نذكرها على النحو الآتي:

1- أصوات مفخمة تفخيما مطلقا دون قيد، وهي أصوات الإطباق: الصاد، والضاد، والطاء والظاء

2- أصوات مرققة ترقيقا مطلقا دون قيد، وهي أصوات الاستفال ما عدا اللام والراء.

3- أصوات مفخمة ومرققة بقيد (بشرط)، وهي أصوات الاستعلاء (الخاء والغين والقاف)، واللام والراء.

والقسم الثالث منها، هو الذي ستعنى به هذه الدراسة، وعلة ذلك أن تفخيمها وترقيقها يمليهما السياق، وهو جوهر الموضوع؛ لأن هذه الخاصية تفرضها المجاورة الصوتية، وتحتكم

إلى شروط سياقية معينة. فيظهر الصوت الواحد في عدة صور وأشكال نطقية حسب تعدد إطاره اللغوي، أو بيئته الصوتية المحيطة به.

نلمس هذا التبدل الألفوني لخاصية التفخيم والترقيق الذي ينبثق عن السياق في أصوات الاستعلاء الثلاثة (القاف والخاء والغين)، حيث يتغير هذا الملمح الذي تكتسبه من موقع سياقي لآخر، فنجد لها حالات من التفخيم مقيدة بقانون المجاورة الصوتية، وهو قانون الفتح والضم التابع لها بنوعيه الطويل والقصير، ومثاله: قَتَلَ/قَابِلَ، حَدَعَ/حَادَعَ، عَدَرَ/عَادَرَ، قُدَّ/يَقُودُ، يَنْخَرُ/يَخُونُ، يَبْلُغُ/يَبْلُغُونَ.

أما حالات ترقيقها فيتحكم فيها الكسر بنوعيه (القصير والطويل)، وذلك في مثل: بَقِيَ/قِيلَ، غَلَ/غِيدَ، خَفَّةٌ/نَخِيلٌ²⁰.

كما تجب الإشارة ههنا، أن هناك بعض الأصوات المرققة بطبيعتها قد يلحقها نوع من التفخيم إذا أتبع بصوت من أصوات الإطباق الأربعة: (ط/ظ/ص/ض)، ومن بين هاته الأصوات فونيم الباء/ب/ الذي يتأثر هو الآخر عند مجاورته لها كما في "طاب" التي يؤدي فيها مفخما على عكس كلمة "تاب" التي ينطق فيها مرققا لمجاورته لصوت التاء المرقق، وهذه كلها عبارة عن تلوينات أليفونية لفونيم الباء تمخضت عن السياق الصوتي.

ومن الأصوات العربية التي تخضع في تفخيمها وترقيقها إلى السياق كذلك، صوت اللام والراء، وهو ما يسمى بالتفخيم أو الترقيق السياقي، الذي يمليه قانون المجاورة الصوتية، بحيث يكتسبان هاتين الخاصيتين إما بمجاورة أصوات الاستعلاء، أو بتأثير الحركات (فتحة/ضمة/كسرة) قصيرة كانت أم طويلة.

فاللام الأصل فيها الترقيق باتفاق جمهور العلماء، ولكن لها حالات من التفخيم والترقيق عند ورودها في لفظ الجلالة (الله/اللهم)، حيث تفخم إذا جاءت بعد فتح أو ضم، كما في مثل قولك: قَالَ الله، ويقولُ الله، في حين ترقق إذا وردت بعد كسر سواء كان هذا الكسر عارضا مثل

في "قل اللهم، أم كان كسرا أصليا، كقولك: بسم الله، وهو عبارة عن تفخيم سياقي يتغير بتغير التشكيل الصوتي لفونيم اللام/ل/.

أما فونيم الراء /ر/، فالأصل في طبيعته الأدائية - كما هو وارد عند الثقات من الدارسين-التفخيم، ويصعب حصر حالات تفخيمه لتعدد مواضعه، ولسهولة حصر مواضع ترقيقه فسكتفي بذلك؛ وهي حالات عارضة بسبب الإطار الصوتي (السياق الصوتي)، الذي ترد فيه ألوفوناته الصوتية، وندرجها على النحو الآتي²¹:

1/ ترقق إذا أتبع بكسر (قصير أو طويل)، أو كان قبلها فتح أو ضم أو تلاها صوت من أصوات الاستعلاء السبعة (ط/ظ/ص/ض/ق/خ/غ)، ومثال ذلك: رِحاب، ريم، رُهاب، يُريد، ويضاف إليها إذا جاءت ممالاة كما في: كبرى.

2/ ترقق أيضا، إذا جاءت ساكنة بعد كسر، شرط أن يكون كسرا أصليا، ولا يقع بعدها حرف استعلاء، في مثل، فرعون، ومريّة، لأنه إذا وقعت بعد كسرة عارضة وجب تفخيما، كما في: اركعوا في قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾²²

3/ أما ثالث حالة ترقق فيها الراء، إذا كانت ساكنة عند الوقف عليها وسبقها ساكن مسبوق بكسر، نحو: فُهِرْ، بَئِرْ، شرط أن لا يسبقها حرف استعلاء ففي هذه الحالة وجب تفخيما، ك: مِصْرٌ وَخِصْرٌ.

ومن مواضع التنوع الألفوني الذي يتحقق عند الأداء الفعلي عبر سلسلة من الوحدات الصوتية المنطوقة المتداخلة فيما بينها، وتتنوع بتنوع السياق الذي ترد فيه، ما نلاحظه في تحول صفة الجهر والهمس عند مجاورة بعض الأصوات المتحدة في المخرج وتأثيرها في بعضها فتأخذ منها ملمحها الفيزيائي (الجهر) وتتخلّى عن سمتها الأصلية (الترقيق) لضعفها، "فالتاء/ت/ مثلا بوصفها صوتا مهموسا مرققا قد يصيبها الإجهار في نحو "انعتُ داود" [د]، لمجاورتها الدال

المجهورة، وقد يمسها شيء من التفخيم في مثل: "جرت طوال الوقت" لاتصالها بالطاء وهي مفخمة "فتخلت عن همسها لضعفها وأخذت ملمح الطاء المطبقة [ط] لقوتها.

ومن أمثلة تحول المجهور إلى مهموس، فونيم "الذال" /د/ الانفجاري، الذي رغم قوة تردده قد يتخلى عن ملمحه الأصلي (الجهر) إذا اجتمع مع أحد الأصوات المهموسة كالتاء والحاء والحاء والفاء، وذلك بقلبه إلى نظيره المهموس "التاء" [ت]، كما في قوله تعالى: ﴿أردتم﴾²³، وقوله أيضاً: ﴿قد تبين﴾²⁴، إذ تولّد عن التقائهما ألفون أصله دال وفرعه تاء، وهذا ما يعرف بالمماثلة الصوتية عند المحدثين.

وقد أوجب القراء في مثل هذا الموضع من التلاوة "القلقلة" حتى لا يتحول إلى نظيره التاء، لتمنحه قوة الظهور والتردد، وهو نفسه ما يحدث لفونيم "الطاء" الساكن المفخم المجهور في حال سبق بالسين المرققة المهموسة، في مثل قوله تعالى: ﴿فوسطن به جمعا﴾²⁵، حيث تتخلى التاء/ت/ عن جهرها وتفخيمها وتقلب إلى سين مهموسة [س]، ومن هنا وجبت قلقلتها، وما إلى ذلك من الأمثلة على تلك الظواهر أو الصور الصوتية المتنوعة التي يأخذها الصوت الواحد في السياقات المتعددة التي يحكمها قانون السهولة واليسر والاقتصاد في النطق دون أي تغيير في قيمته أو وظيفته الدلالية.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج ندرجها على النحو الآتي:

- إن السياق يتحكم في الصور النطقية للفونيمات العربية ويحدد معالمها التغايرية من موقع لآخر، ويكون هذا التغاير إما على مستوى المخرج أو الصفة، بحيث تتغير العلاقات بينهما على حسب ما تمليه المجاورة الصوتية إما بأثر رجعي أو قبلي، ومن هنا تصبح للسياق فاعلية قصوى في التنوع الألفوني للأصوات العربية وتبدله من موقع لآخر.

- في العربية أصوات تخضع للتبدل الصوتي (الألفوني) من حيث المخرج، فتأخذ مخرج الفونيم المجاور لها، وهذا ما تمثله أحسن تمثيل النون العربية/ن/، التي تتغير ملامحها الفيزيولوجية

النطقية من إطار صوتي إلى آخر، بالإضافة إلى فونيم الميم/م/ الذي هو الآخر يتبدل مخرجه ويختفي تماما ويستبدل بمخرج الباء/ب/ الشفوي الانفجاري مع الإبقاء على صفة الغنة، لتتحول العلاقة بينهما على مستوى المخرج لا الصفة. وهذه الظاهرة لها أصول في تراثنا العربي درسها علماء التجويد والقراءات في باب الإخفاء والإقلاب.

-وهناك من الصوامت العربية ما يمسها التنوع الصوتي على مستوى الصفة فقط، ويرجع ذلك عند أهل الاختصاص من الأصواتيين والقراء إلى ما يحاذيها في السياق من أصوات تسلبها صفتها الأصلية لتمتاع منها خاصية صوتية أدائية دون تغيير في المعنى العام للبنية اللغوية، مثل ما يحدث مع الأصوات النطقية (التاء، والذال، والطاء)، التي رغم قوتها الترددية الانفجارية إلا أنها تتحول من ملمح الجهر إلى الهمس كالذال والطاء أو من الهمس إلى الإجهار كما في التاء.

-ولا يقف التنوع الألفوني عند سميتي الجهر والهمس فقط، وإنما يتعداه إلى صفتي التفخيم والترقيق، بحيث يحدث السياق دورا محوريا في تغيير هاتين الخاصيتين في بعض الفونيمات العربية، كأصوات الاستعلاء (القاف والغين والخاء)، التي وسمت بالبنية عند بعض المحدثين (كمال بشر) من هذا القبيل، وذلك نظرا لوقوعها (بين بين) أو وسطا بين التفخيم والترقيق على حسب ما يجاورها من الصوائت (فتح/ضم/كسر) طويلة وقصيرة، كما يضاف إلى هذه الزمرة الوسطية صوتا اللام والراء اللذان يحتكمان إلى قانون المجاورة من حيث التفخيم والترقيق، فيرققان في مواضع ويفخمان في مواقع أخرى من السياق، إما بفضل تأثير أصوات الاستعلاء أو التشكيل الصوتي (الحركات).

قائمة المراجع:

-القرآن الكريم، برواية ورش.

-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، (1399هـ/1979م) مقاييس اللغة، (د.ط)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- بسام مصباح أغبر، (2014م) الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، سورة البقرة نموذجاً، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- تمام حسان، (1990م)، مناهج البحث في اللغة، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- ردة الله بن ردة الطلحي، (1424هـ)، دلالة السياق، (أطروحة دكتوراه)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد البحوث.
- رشيد عبد الرحمن العبيدي، (1428هـ/2007م)، معجم الصوتيات، ط1، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، دار الكتب والوثائق العراقية، ديوان الوقف السني، جمهورية العراق.
- ستيفن أولمان، (د.ت)، دور الكلمة في اللغة، ط2، ترجمه وقدم له وعلق عليه، كمال بشر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر.
- عبد السلام المسدي (1982م)، الأسلوبية والأسلوب ط2، الدار العربية للكتاب، تونس.
- عبد القادر عبد الجليل، (1418هـ/1998م)، الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- غازي مختار طليمات، (2000م)، في علم اللغة، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.
- كمال بشر، (2000م)، علم الأصوات، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- مجمع اللغة العربية، (1425هـ/2004م)، المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف، إخراج: شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، ط4.
- مصطفى غلفان، (2013م)، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- نجيب علي عبد الله السوداني، (1436هـ/2015م)، التنوع الصوتي في النص القرآني، دراسة دلالية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج11، ع01.

-نعمان بوقرة، (د.ت)، المدارس اللسانية المعاصرة، (د.ط)، مكتبة الآداب، القاهرة.

المراجع باللغة الأجنبية:

-Daniel Jones, (1950) The Phoneme theory, Cambridge.

الهوامش:

- ² - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، (1399هـ/1979م)، مقاييس اللغة، (د.ط)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مادة (س و ق)، ج 3، ص 117.
- ³ - مجمع اللغة العربية، (1425هـ/2004م)، المعجم الوسيط، ط 4، إشراف: شوقي ضيف، إخراج: شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، مادة (س و ق)، ص 465.
- ⁴ - ردة الله بن ردة الطلحي، (1424هـ)، دلالة السياق، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد البحوث، ص 51.
- ⁵ - عبد السلام المسدي (1982م)، الأسلوبية والأسلوب ط 2، الدار العربية للكتاب، تونس، ص 175، وينظر، ردة الله بن ردة الطلحي، المرجع نفسه، ص 43.
- ⁶ - ستيفن أولمان، (د.ت)، دور الكلمة في اللغة، ط 2، ترجمه وقدم له وعلق عليه، كمال بشر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ص 68.
- ⁷ - نجيب علي عبد الله السوداني، (1436هـ/2015م)، التنوع الصوتي في النص القرآني، دراسة دلالية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج 11، ع 01، ص 226.
- ⁸ - رشيد عبد الرحمن العبيدي، (1428هـ/2007م)، معجم الصوتيات، ط 1، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، دار الكتب والوثائق العراقية، ديوان الوقف السني، جمهورية العراق، ص 50.
- ⁹ - غازي مختار طليمات، (2000م)، في علم اللغة، ط 2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ص 15.
- ¹⁰ - ينظر، مصطفى غلفان، (2013م)، اللسانيات البنوية، منهجيات واتجاهات، ط 1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ص 242 وما بعدها، ونعمان بوقرة (د.ت)، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)، ص 92 وما بعدها.

- ¹¹- Daniel Jones, 1950, The Phoneme theory, combridge، نقلا عن تمام حسان، (1990م)، مناهج البحث في اللغة، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص126.
- ¹²- عبد القادر عبد الجليل، (1418هـ/1998م)، الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 113.
- ¹³- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص123.
- ¹⁴- البقرة، الآية 21.
- ¹⁵- البقرة، الآية 81.
- ¹⁶- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص127.
- ¹⁷- سورة البقرة، الآية 33.
- ¹⁸- سورة البقرة، الآية 188.
- ¹⁹- بسام مصباح أغبر، (2014م)، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، سورة البقرة نموذجاً، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص186/187.
- ²⁰- ينظر، كمال بشر، (2000م)، علم الأصوات، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، ص401.
- ²¹- ينظر، كمال بشر، المرجع نفسه، ص105 وما بعدها.
- ²²- البقرة، الآية 43.
- ²³- البقرة، الآية 233.
- ²⁴- البقرة، الآية 256.
- ²⁵- العاديات، الآية 05.